www.14october.com

تأملات على تخوم العقد الثاني من الألفية الثالثة

أحمد الحبيشي

بعد أيام معدودات ينقضي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين في الألفية الثالثة الجديدة من تاريخ البشرية وسط معطيات تشير إلى أنّ ثمة حضوراً خاملاً للعالم العربي والإسلامي على تخوم عصر ما بعد الحداثة . بوسعنا القول إن ثورة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات تمكنت خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين من نقل العمل الاجتماعي من مجال الإنتاج الصناعي إلى مجال الإنتاج الإليكتروني، وتجديد مدخلات الصناعة إذ غدت تعتمد على المواد الخفيفة بدلا من المواد الثقيلة، فيما تغيرت الوسائط المنظمة للعلاقة بين الإنتاج والتسويق والاستهلاك بواسطة إحلال إدارة المعلومات محل إدارة العمليات والأشياء، وما ترتب على ذلك من تحولاتٍ جذرية في معايير الأرباح بوصفها المصدر الرئيسي لتراكم الثروة، خصوصا بعد أن أسهمت التجارة الإليكترونية في تحقيق التحول من فائض القيمة الذي اكتشفته الماركسية إلى القيمة المضافة التي استولدتها العولمة.

أما بنية العمل والملكية فقد تبدلتا على نحو مدهش ، حيث اتسع الطابع الاجتماعي للملكية على نطاق عالمي من خلال أسواق الأسهم والتجارة الاليكترونية ، بطريقة أكثر فعالية من صيغة "الاشتراكية والثورة البروليتارية "التي كانت الماركسية تراهن عليها، فيما تراجع دور الطبقة العاملة التي تلعب دور القوة المحركة للعمل في ظل المعطيات التقنية للثورة الصناعية وأصبح العمل اليوم يعتمد على قوة محركة جديدة هي العاملون الذين يقرؤون المعطيات الرمزية والرقمية والمعلوماتية على شاشات أجهزة الحاسوب ، ثم يقومون بتحويلها إلى صورٍ وأصواتٍ وأوامر ورسائل وقرارات وتعليمات تنتقل بسرعة الضوء من مواقع الإدارة إلى مواقع الإنتاج والتسويق داخل البلد الواحد وعلى مستوى الكوكب الأرضي بأسره.

تبدو صورة الحضور العربي والاسلامي على تخوم الألفية الثالثة قاتمة ومضطربة، مقابل الحضور الفاعل لأمم وشعوب وثقافات أخرى نجحت في اختراق مشهد النظام العالمي الذي تحول إلى نظام كوني بلا حدود ، على نحو يصعب تجاهله والانعزال عنه أو مقاومته ورفضه، فيما أصبح معيار الدخول إليه والحضور الفاعل فيه هو مدى القدرة على امتلاك الحيوية الذهنية والفكرية ، والاستفادة من الفتوحات المعرفية والمنجزات التقنية التي يتشكل على أساسها العالم الجديد في الزمن الجديد.

لا ريب في أنّ العقدين الأخيرين من القرن العشرين المنصرم شكلا محطة هامة على تخوم الألفية الثالثة التي دشنت بداية انتقال الحضارة الحديثة من زمن الثورة الصناعية التي حققت خلال ثلاثمائة عام ما لم تحققه حضارات البشرية خلال آلاف السنين إلى زمن الفتوحات اللامتناهية لثورة الاتصال والمعلومات التي نقلت الحضارة الصناعية الحديثة من العالمية إلى العولمة.

مما له دلالة عميقة أنّ خميرة الانتقال من عالمية الحضارة الحديثة إلى عولمة حضارة ما بعد الحداثة ، تشكلت ونضجت خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، بفعل تسارع فتوحات تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وإعلان شهادة وفاة " المنظومة الاشتراكية العالمية " التي جاءت ولادتها بعد قيام الثورة البلشفية في بدايات القرن العشرين ودخول القوات السوفييتية الى بعض دول اوروبا الشرقية لتشكل أول محاولة للانشقاق عن واحدية وعالمية الحضارة المعاصرة بواسطة عملية قيصرية أريقت على أطرافها دماء غزيرة ، وأول تجربة تستخدم أدوات الأيديولوجيا لبناء "حضارة اشتراكية " مغايرة، ينقسم العالم على تربتها إلى عالمين متوازيين ومتناقضين تحت مسمى الاشتراكية والرأسمالية .

لسوء حظ العالم العربي والإسلامي أنه كان إما ملحقا بأحد العالمين المفترضين، أو محايدا بينهما، أو خاضعا لتهويمات طوباوية (دينية أو قومية) تفترض إمكانية بناء عالم ثالث وحضارة ثالثة على أساس الهوية الدينية أو القومية .

والأسوأ من ذلك أنّ العالم العربي شهدَ خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي فشل كافة مشاريع التغيير المفترضة التي بشرت بها وقادتها تيارات فكرية وطنية أو قومية أو إسلامية، وقد تزامن دخول هذه المشاريع مأزق الركود والتراجع مع بدايات انتقال الحضارة المعاصرة من العالمية إلى العولمة ومن الحداثة إلى ما بعد الحداثة، ومن النظام الدولي إلى النظام الكوني .

عندما انتقل العرب من القرن العشرين إلى القرن الحادي والعشرين كان نظامهم الإقليمي يشهد بدايات تحلله وتفككه على إثر غزو العراق للكويت، وانتشار القواعد العسكرية الأجنبية فوق أراضيه.. وبعد دخول الألفية الثالثة الميلادية أصبح العالم العربي مكشوفاً بالكامل أمام تحديات العولمة وعالم ما بعد الحداثة .

في هذا السياق تضاءلت حوافز التفكير بالآليات والتصورات التي تساعد على تعويض العالم العربي ما خسره من فرص تاريخية ضائعة خلال القرن العشرين المنصرم ، وتمكنه من تجاوز فجوة التخلف والركود والانقطاع الحضاري والعودة إلى ميدان إبداع الحضارة.. حيث أصبح العرب مثقلين بهموم إضافية ذات طابع مركزي ومحوري. فالإسلام الذي نشره العرب في مختلف بقاع العالم وصنعوا به حضارتهم ، يتعرض للتشويه والتشكيك بصورةٍ مزدوجة، حيث يتم تقديمه من قبل الجماعات الإسلاموية المتطرفة على نحو متشدد ومنغلق ودموي، بخلافٍ تعاليمه السمحة وقيمه الإنسانية ورصيده الحضاري المنفتح، فيما تسعى القوى اليمينية والعنصرية في الغرب للتحريض ضد الإسلام والعرب والمسلمين على خلفية أحداث 11 سبتمبر 2001م، وغيرها من أعمال الإرهاب التي ترتكبها جماعات ضالة ومتعصبة تحت يافطة الجهاد الإسلامي .

أما الإرهاب الذي ارتبط بهجمات 11 سبتمبر 2001م على رموز السيادة الكونية والقوة الاقتصادية والجبروت العسكري في قلعة العولمة ومعقل ثورة تكنولوجيا الإتصال والمعلومات، فقد تمكن من تحويل بدايات الألفية الثالثة الجديدة ، إلى ساحة مواجهة مفتوحة بين العولمة وما قبلها.. وتعميق الفجوة بين حضارة القرن الحادي والعشرين وبقايا حضارات القرون السابقة.. وتقويض الأنساق والتصورات الطوباوية والتهويمات الأيديولوجية (الدينية والقومية) الموروثة عن الحقب السابقة للألفية الثالثة الجديدة، ومع بدء وإتساع المواجهة التي فجرتها أحداث 11 سبتمبر 2001م ، وجد العالم العربي نفسه في قلب هذه المواجهة الساخنة ، خصوصا وأنّ الذين تورطوا في تلك الاعتداءات المشينة تخطيطًا وتمويلا وتنفيذًا، جاؤوا منه، وحملوا هويته وثقافته، وتظاهروا بتبني قضاياه .

هكذا انقضت الأعوام العشرة الماضية من القرن الحادي والعشرين ، وحين يطل علينا العقد الثاني من الألفية الثالثة الجديدة بعد أيام قلائل يجد العرب أنفسهم في دوامة مستمرة من الخسائر الجديدة التي تضاف إلى خسائر سابقة تكبدوها حين أضاعوا فرصا نهضوية تاريخية لا يمكن تعويضها .

والحال أنّ العرب اليوم مطالبون باجتراح معارك دفاعية عن قضايا جديدة قديمة مثل : الحرية، السيادة، التنمية، النهضة، خصوصا بعد أنْ أصبح العراق أرضاً محتلةً إلى جانب فلسطين وجزر الإمارات العربية .

في الوقت نفسه يتوجب على العرب تأهيل أوضاعهم للالتحاق بالعصر الجديد والاندماج في العالم الكوني.. ولا يمكن تحقيق ذلك من دون الديمقراطية وإصلاح أوضاع التعليم والثقافة والإعلام ، وتبرئة الإسلام من تهمة الإرهاب وتحريره من وصاية أشباه الإكليروس، وما يترتب على ذلك من نقدٍ للتأويلات السلفية المتحجرة للدين ، وتقويض التوظيف السياسي للإسلام الذي أصبح اليوم اسلاماً سياسياً تتصارع على تربته قوى الثروة والسلطة ، ويستخدمه السياسيون غطاءً (شرعياً) للصراع على العروش ، وممارسة أساليب قذرة تبررها دهاليز ومواخير السياسة ولا تجيزها قيم الدين وتعاليمه .

لقد تأخر العالم العربي كثيرا في حسم هذه القضايا طوال القرن الماضي ، وعجز عن اكتشاف حقيقة الأوهام التي أصابته بالإخفاق في الإجابة على أسئلة النهضة ، بما في ذلك الفشل الذريع للمشاريع السياسية (القومية والدينية) التي وعدت الناس بالحرية والسيادة والاستقلال والتنمية والعدالة والنهضة في عصر متدفق بالحيوية والفعالية والإنجاز والتجاوز.. وبتأثير ذلك الانسداد وصل العالم العربي إلى مأزقه الحالي، وهو بطبيعة الحال مأزق النخب السياسية والفكرية والدينية والحزبية والتقليدية القديمة التي لم تدرك حتى الآن أنها أضحت جزءًا من إرث الماضي، وعقبة أمام الاندماج بالعصر والحضارة والحداثة.

لعلّ مأزق هذه النخب العربية القديمة يعود إلى إفراطها في التعاطي مع اليوتوبيا والميثولوجيا في آنٍ واحدٍ على مستوى النسق الذهني للوعي والجهاز المفاهيمي للتفكير.. أما على صعيد الممارسة فقد كانت ولا تزال مخدرة بأوهام الأيديولوجيا القومية والاشتراكية والدينية، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الأيديولوجيا تعد العدو الرئيسي للحقيقة والمعرفة .

وبعد انكشاف اليوتوبيا وإفلاس الأيديولوجيا أمام حقائق العصر، ظلّت هذه النخب أسيرةً لأوهامها العارية وشعاراتها الشعبوية وخطابها الإنشائي .. والأخطر من كل ذلك لا تزال هذه النخب المتكلسة تصر على إغلاق الطريق أمام تقدم نخب صاعدة من الجيل الجديد، ومصادرة حقها في أن تأخذ فرصتها وتمارس دورها في التفكير والممارسة .

ما من شكٍ في أنّ مأزق العالم العربي في نهاية القرن العشرين والألفية الثانية جاء محصلة لتراكم مريع من الإخفاقات والتراجعات التي تتالت منذ قرون طويلة، تمتد إلى ظهور السلفية المتشددة التي مارست مختلف أشكال العداء للعقل، وحاربت الفلسفة والعلوم الطبيعية والترجمة، واضطهدت الفلاسفة وعلماء الكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والمنطق ، وأحرقت كتبهم الثمينة ، الأمر الذي مهد لتراجع مساهمة العرب والمسلمين في إنتاج العلوم والآداب والفلسفة والفنون، وغروب شمس الحضارة العربية والاسلامية .

وزاد من خطورة هذا المأزق أنه تزامن مع انتقال الحضارة الحديثة في نهاية الألفية الثانية وبدايات الألفية الثالثة من الحداثة الى ما بعد الحداثة، ومن العالمية الى العولمة .

يقيناً أنه لا توجد وصفة سحرية للخروج من هذا المأزق.. بيد أنّ الاستجابة لتحديات العولمة ممكنة في حال الاندماج بها واستيعاب قيمها ، وذلك من خلال تأسيس فكر سياسي وخطاب ثقافي جديد يتجاوزان أسئلة النهضة التي عجز الفكر العربي والإسلامي عن الإجابة عليها، منذ أن طرحها رواد فكر التنوير في القرن التاسع عشر تحت تأثير صدمة الحداثة الأولى مع الثورة الصناعية.. على أن يتم الانتقال بعد ذلك إلى صياغة أجوبة جديدة على أسئلة الزمن الجديد التي تطرحها الصدمة الثانية لما بعد الحداثة تحت تأثير متغيرات ومنجزات عصر ثورة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات.

يبقى القول إنّ بلوغ أهداف كهذه غير ممكن من دون بلورة مشروع نهضوي للتغيير الشامل، عبر بوابة التجديد الديمقراطي للمجتمع العربي بأفق الحرية والتعددية والتنوع والحداثة، والتصدي لأي وصاية على الدين والعقل والهوية والثقافة والمعرفة، أو ادعاء باحتكار الحقيقة ، أو مصادرة لضرورة الحداثة واستبدالها بتحديث التخلف.

عن / صحيفة (26 سبتمبر)

لماذا هذا الموقف العدائي من المرأة؟!

عبدالحميد الأنصاري □

تحدى الأفغان تهديدات طالبان وأقبلوا بشجاعة على المشاركة في ثاني انتخابات برلمانية منذ سقوط طالبان 2001 ورغم الهجمات والتفجيرات التي أودت بحياة العشرات فإن الإقبال كان كبيراً ونسبة المشاركة وصلت إلى 40 ٪ وتنافس 2500 مرشح على 249 مقعداً.

اللافت للنظر في هذه الانتخابات، المشاركة النسائية الواسعة سواءً في التصويت أو الأعمال المساعدة أو الترشيح.

تحدت المرأة الأفغانية تهديدات طالبان وكسرت التقاليد الظالمة «التابو» ورشحت 406 نساء - وهو رقم قياسي - أنفسهن لخوض المعترك الانتخابي للوصول إلى البرلمان، تقول مؤسسة مراقبة للانتخابات: النساء يواجهن مخاطر من نوع خاص فمن بين كل 10 تهديدات يبلغ عنها 9 موجهة لنساء.

من هؤلاء المناضلات المتحديات السيدة روبينا جلالي وهي عداءة أولومبية سابقة اعتادت على تلقي تلك التهديدات. وهناك النائبة البرلمانية الشهيرة السيدة شكرية باركزاي التي قالت «العمر واحد والرب واحد» رداً على تهديدات طالبان.

لا يملك المرء الا أن يحيي نضال المرأة الأفغانية التي جعلت صوت الأفغانية مسموعاً تحت قبة البرلمان، ومهما حاولت طالبان عبر التهديد والتفجير اسكات صوت النائبات فإنه لا عودة للوراء.

إن هذه النماذج من النساء المجاهدات، نماذج إسلامية مشرفة للشعب الأفغاني خاصة وللمسلمين عامة، وهن بنشاطهن السياسي وفاعليتهن في تحدي الفكر الظلامي والتقاليد الظالمة يدحضن الفكرة الرائجة من أن الديمقراطية لا تصلح للمسلمين وأنهم يعاملون نساءهم كجوار وخادمات.

لقد تصدرت صورة «عائشة الأفغانية» مجلة «تايم» الأميركية وهي صورة لوجه جميل هادئ الملامح لكنه مجدوع الأنف، جدع زوجها أنفها وأذنيها إنتقاماً منها بأمر قضاء طالباني عقاباً لها على الفرار من منزل الزوجية بسبب سوء معاملة عائلة زوجها، وتكفلت منظمات إنسانية بعلاجها في أميركا ووافقت على الظهور على غلاف المجلة لأنها كما قالت: تريد أن يرى الناس العواقب المترتبة على عودة طالبان، وكذلك إبراز مخاوف النساء الأفغانيات من أن تكون تكلفة المصالحة مع طالبان ضياع حقوقهن التي حصلن عليها بعد سقوط طالبان أثر الغزو الأميركي لأفغانستان، فطالبان ليست مجرد جماعة مسلحة تسعى إلى المشاركة في حكم البلاد لكنها حركة أيديولوجية قمعية متعصبة تريد العودة بأفغانستان إلى الحقبة الظلامية التي سادت البلاد ابان حكمها لها.

ولاتزال طالبان تمارس تسلطها في قتل الفتيات اللاتي يذهبن إلى المدارس أو العمل في المناطق الخاضعة لحكمها، وهل ننسى كيف عمدت طالبان إلى رش الأسيد على وجوه طالبات صغيرات في قندهار لأنهن ذاهبات إلى المدرسة؟! وكيف ننسى التكتيك البشع المتمثل في نشر غازات سامة في المدارس التي لا تمتثل لتهديدات طالبان؟! لقد وصل عداء طالبان للمرأة الأفغانية حد الإعلان عن مكافأة 1000 دولار لمن يقتل مدرسة!

سجل حركة طالبان في تعليم البنات سجل أسود معروف ومثبت بالفتاوى التي أصدرتها خلال حكمها «1996 - 2001» والذي شكل كابوساً خانقاً على نفوس الأفغان، ويبدو أن الحركة - كما يقول عثمان ميرغني - لم تتعلم شيئاً من تجربتها بعد إقصائها عن الحكم ولم تغير شيئاً من مفاهيمها البالية التي أساءت إلى الإسلام والمسلمين.

وفي إحصائية أن الحركة دمرت 117 مدرسة وأغلقت 200 مدرسة أخرى في سنة واحدة عام 2007 ومع ذلك يزعم المتحدث الإعلامي باسمها بأنهم إذا عادوا إلى الحكم سوف يبنون آلافاً أخرى من مدارس البنات! ويتهم الإعلام الغربي بأنها تشن دعاية سيئة ضد طالبان، وينسى أن حركته عندما حكمت دمرت المئات من المدارس وسرحت المعلمات ومنعت تعليم البنات وحتى عندما لجأ الأفغان إلى المدارس السرية لاحقت الحركة المخالفين وعاقبتهم.

يتناسى هذا المتحدث الاعلامي بلاوي طالبان وكيف ضيقوا على الناس وكتموا أنفاس المجتمع وجمدوا نموه على امتداد 5 سنوات تحولت فيها أفغانستان إلى أسوأ مكان يعيش فيه انسان، ملأته مظاهر البؤس والكآبة وعربدت فيه جماعات ارهابية. وكانت المرأة هي الأكبر بؤساً اذ حرمت من أبسط حقوقها وطمست شخصيتها بغطاء أشبه بسجن متحرك. منعت من الخروج وحرمت من كل شيء حتى التسول! حتى لا يرى المتكرمون باطن يدها كما قال العفيف الأخضر!

وأصدروا قائمة «الكبائر» المحرمة: تحريم حلق اللحى والأغاني والصور والكاميرا والتليفزيون والفضائيات والسينما ومنعوا وسائل النقل العامة من نقل المرأة التي لا ترتدي «البركة» الغطاء الثقيل وتعاقب من لا ترتديها بالسجن كما يعاقب زوجها وتوضع علامة على بيتها للتشهير بها، وتم التخلص من نصف المجتمع وأجبرن على ملازمة البيوت وأقفلت المؤسسات التعليمية وأفرغت المستشفيات من الطبيبات والممرضات وتم تسريح مئات الألوف من الفتيات والشباب.

ترى لماذا هذا الموقف العدائي من حقوق المرأة عامة ومن حقها في التعليم خاصة؟! إجابة هذه التساؤلات بحاجة إلى تحليل وتفكيك، ولعلنا نتذكر عندما ذهب وفد منظمة المؤتمر الإسلامي المكون من كبار العلماء والمشايخ لمناشدة طالبان لتأجيل تحطيم تمثالي بوذا في باميان ورفض الملا عمر استقبالهم وقال لهم: لقد أخطأتم في العنوان! سألوهم عن أسباب منع تعليم البنات فتعللوا بقلة الإمكانات والمدهش أن رمزاً إسلامياً وسطياً بارزاً انخدع بكلامهم ورجع الينا مدافعاً عن طالبان ومتهماً الغرب بتشويه سمعة طالبان وأن هناك كلية للطب بها 1200 طالبة!

الحقيقة أنه لا علاقة بالإمكانات وان ادعاها طالبان وخدع بها بعض المشايخ فموقف طالبان العدائي للمرأة موقف مبدئي معروف وحقيقة مؤكدة ينبغي مواجهتها وكشفها لا تبريرها واتهام الآخرين بسوء النية.

نريد تأكيد أن هذا الموقف العدائي ليس مقصوراً على طالبان بل هو قاسم مشترك بين الجماعات المتشددة كلها وهو موقف له جذوره العميقة في الموروث الثقافي - الديني أو الفقهي؛ بدءاً من القرن الأول الهجري وصولاً إلى نهايات القرن الخامس الهجري حيث تبلورت نظرية متكاملة ضد المرأة على يد الامام الغزالي في كتابه: «احياء علوم الدين». استمع إليه يقول: «القول الجامع في المرأة: أن تكون قاعدة في قعر بيتها، لازمة لمغزلها، لا تخرج، ولا ترى الرجال ولا يراها الرجال، فإذا اضطرت للخروج خرجت خفية وفي هيئة رثة». ويضيف الامام الغزالي «النكاح نوع من الرق، والزوجة رقيقة عند زوجها فعليها طاعته مطلقاً، وعليها تقديم حقه على حقها، وحق أقاربه على حق أقاربها، وعليها أن تكون مستعدة لزوجها في جميع أحوالها ليستمتع بها». ولا ينسى الامام أن يحذر الرجل من مشاورة زوجته والاستماع إلى رأيها فيقول «الرجل هو السيد المطاع، لا يشاور المرأة فاذا شاورها خالفها لأن في خلافها بركة» ويختم الامام وصاياه الذهبية من واقع خبرته بالنساء بقوله «وكيد النساء عظيم، وسوء الخلق وقلة العقل من صفاتهن، وعلى الرجل أن يكون حذراً منهن». وربما يقول البعض إن الامام يقصد بهذا الكلام بعض النساء المنحرفات ولا يقصد النساء الصالحات، ولكن الامام يسارع بالرد فيقول «بل المرأة الصالحة فيهن كمثل الغراب الأعصم - أي الأبيض البطن - بين مئة غراب». هذه الثقافة المعادية المظلمة والظالمة للمرأة والمناقضة لتعاليم الإسلام وثوابت القرآن الكريم هي التي شكلت الإطار المرجعي لكل من أتى بعد الامام الغزالي عبر القرون المتوالية وهي التي حكمت الأفق الثقافي - الديني لكل النتاج الفكري للقرون التالية إلى يومنا هذا، فالمرأة عورة وهي مصدر الفتنة والغواية ويجب حبسها وفرض الوصاية عليها ومراقبتها أينما حلت أو ارتحلت، وإذا خرجت المرأة من بيتها كان الشيطان ملازماً لها وأعظم ما تكون المرأة من ربها ما كانت في قعر بيتها - راجع الكتاب المشهور والمتداول «الكبائر» للامام الذهبي من علماء القرن الثامن الهجري، وهو كتاب يتبارى المحسنون في طباعته حسبة لوجه الله - هذه الثقافة المعادية للمرأة هي التي نهل منها طالبان عبر المدارس الدينية المنتشرة في أرجاء باكستان وأفغانستان وبتمويل من المحسنين في الخليج وعلى أيدي أساتذة معادين للمرأة.

طالبان رضعت العداوة من كتب فقهية متحيزة ضد المرأة ومناهج ماضوية ذات محتوى تعصبي بعيدة عن علوم العصر ومعارفه الإنسانية، لقنت طلابها مفاهيم مشوهة عن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراء والحاكمية وعدم التشبه بالكفار إلى غير ذلك من المفاهيم المغلوطة.

إن هذه المدارس الدينية المنتشرة في تلك البقاع من العالم الإسلامي هي التي خرجت معظم الجماعات المتطرفة بدءاً بطالبان مروراً بالجماعات المتشددة في باكستان وانتهاءً بطلاب وطالبات المسجد الأحمر، ومن هذه المدارس تخرج الانتحاريون المفجرون في لندن والهند وباكستان وأفغانستان.

طالبان ثمرة فكر إقصائي، هو افراز طبيعي لنمط من التعليم الديني المغلق، انه جناية التعليم الديني حين يغرس بذور الكراهية للآخر المختلف مذهباً أو ديناً في النفوس فلا ترى في الآخر الا عدواً ولا ترى في الدنيا الا جاهلية وظلاماً ولا ترى في المرأة الا فتنة وفجوراً ولا تبصر في الحضارة المعاصرة الا فسقاً وعصياناً!

ولماذا نستغرب؟! أليس موقف طالبان من تعليم المرأة هو نفسه موقف المجتمع العربي قبل نصف قرن من الزمان حين وقف ضد المصلحين المنادين بتعليم المرأة؟! ألم ينكر الأزهر قديماً تعليم المرأة في الجامعة؟ ألم تذهب أفواج من الأعراب إلى الملك فيصل رحمه الله مستنكرة فتح مدرسة للبنات؟!

رحم الله الشيخ محمد الغزالي، تعرض لإساءات من قبل مدافعين ظنوا أن تلك الثقافة المظلمة الموروثة هي الإسلام، استمع إليه يقول في حديث مكذوب رواه الحاكم في «المستدرك»، أن المرأة لا يجوز أن تتعلم الكتابة، وفي حديث آخر أن المرأة لا يجوز أن ترى أحداً ولا يراها أحد. على هذه الآثار أنبنى حرمان المرأة من التعليم ومن المدرسة ومن المسجد فأقفرت بيوت الله منهن وانقطعن عن التوجيه الديني والإنساني» ويضيف رحمه الله «ان الصورة التي حسبت إسلاماً وما هي بإسلام، أن المرأة كائن ناقص متهم يحبس في البيت محروماً من العلم والارتقاء، النساء في الحضارة الحديثة يغزون الفضاء ونحن نفتي أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من الصلاة في مسجد رسول الله. ولا بأس أن تختار المكان الأظلم، لماذا يحرض بعض الشيوخ على تصوير الإسلام سجاناً للمرأة وحسب».

إن الأفكار المعادية للمرأة لاتزال باقية، تحتضنها مدارس على امتداد الساحة الإسلامية وتفرزها مناهج متخلفة ويرعاها أساتذة ومشايخ متشددون وتروج لها صحف ومجلات وكتب متحيزة وينشرها إعلام ومواقع الكترونية وتغذيها منابر دينية وسياسية وتدعو لها جماعات دينية متعصبة وما طالبان وبقية الجماعات المعادية للمرأة الا عرض لمرض وإفراز مشوه لبنية تحتية متخلفة لاتزال تنتج الفكر العنيف.

□ مفكر وأكاديمي بحريني